الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد:

الإمام في الصلاة يقتدي به الناس في الأفعال، فمن خالفه عمداً فإما أن يفارقه، أو تبطل صلاته، لأن الإمام إنما جعل ليؤتم به، لا ليخالف أو يعارض، بل يقتدي به المأمومون، وصلاتهم مرتبطة كل الارتباط بصلاته فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا))1.

إن الحديث اليوم عن خشوع الأئمة ومتابعته من قبل المأموم واجبة؛ لكن فيما يستطيع، أما المتابعة في الخشوع فلا يستطيعه الكثير، بل الخشوع فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فليس ذلك بيد الإمام ولا بيد المأموم، فما الذي نريد؟

نريد أن نعلم جميعاً أن خشوع الإمام مؤثرٌ على المأمومين، وسببٌ لخشوعهم، فهذا النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ضرب أروع الأمثلة في ذلك، فعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: ((حبب إلي من دنياكم: النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة))2.

ولقد كان - صلى الله عليه وسلم - يهدأ إلى الصلاة، ويطمئن بها قلبه؛ بعد ذهاب وإياب في نشر دين الله، والجهاد في سبيله، وقضاء حوائج الناس، يذهب إلى الأريحية في ظل الخشوع، عن سالم بن أبي الجعد قال: قال رجل من خزاعة: ليتني صليت فاسترحت، فكأنهم عابوا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: ((أقم الصلاة يا بلال أرحنا بها))3، يقول آبادي أبو الطيب - رحمه الله تعالى -: "((يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها))، قال في النهاية: أي نستريح بأدائها من شغل القلب بها، وقيل: كان اشتغاله بالصلاة راحة له؛ فإنه كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعباً، فكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة الله - تعالى -؛ ولهذا قال: ((وجعلت قرة عيني في الصلاة))، وما أقرب الراحة من قرة العين، كذا في مرقاة الصعود"4، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - سيد الخاشعين كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وقد سار من بعده من أصحابه على خطاه خاشعين في الصلاة، منيبين إلى الله، مستأنسين بنجواه، فهذا أبو بكرٍ الصديق - رضي الله عنه - لا تسمع قراءته من شدة البكاء كما ذكرت ذلك السيدة عائشة - رضي الله عنها - قالت: لما مرض النبي - صلى الله عليه وسلم - مرضه الذي مات فيه أتاه (أي بلال) يؤذنه بالصلاة، فقال: ((مروا أبا بكر فليصل))، قلت: "إن أبا بكر رجل أسيف؛ إن يقم

مقامــك يبــكِ، فلا يقــدر على القــراءة، قــال: ((مــروا أبــا بكــر فليصل))..الحديث "5"، "وروي أن عمر - رضي الله عنـه - كـان يسـقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن مغشياً عليه، فكان يعاد أيامـاً"6، "ولما قرأ عمر - رضي الله عنه - {إِذَا الشَّـمْسُ كُـوِّرَتْ}7 وانتهى إلى قوله - تعالى -: {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ}8 خر مغشياً عليه"9، "وكان علي بن أبي طـالب - رضـي اللـه عنـه -، وكـرَّم وجهـه؛ إذا حضـر وقت الصلاة؛ يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: مـا لـك يـا أمـير المؤمـنين، فيقول: جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملتها"10، "ويروى عن علي بن الحسين - رحمه الله تعالى - أنه كان إذا توضأ اصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟"11.

فها هي صلاة النـبي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - الخاشـعة، وهـا هي صلاة أصحابه ومن سار على هديـه، ونحن مـأمورون أن نصـلي كمـا رأينا النبي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - يصـلي إذ يقـول: ((صـلوا كمـا رأيتموني أصـلي))12، والـذي قـال: ((صـل صـلاة مـودع))13، فـالنبي - صلى الله عليـه وسـلم - يخبرنـا أن الصـلاة لا بـد أن تكـون خاشـعة، والطريـق إلى ذلـك أن تـدخل بنفسـية الراحـل، فلا تفكـر إلا فيمـا ستلاقيه عند ربـك؛ فتحسِّـن صـلاتك، وتخشـع فيهـا، وتـذكر المـوت سبب للخشوع فعن أنس - رضـي اللـه عنـه - عن النـبي - صـلى اللـه عليه وسلم - قـال: ((اذكـر المـوت في صـلاتك؛ فـإن الرجـل إذا ذكـر الموت في صلاته؛ لحري أن يحسن صلاته، وصل صلاة رجـلٍ لا يظن أنه يصلي صلاةً غيرها))14، والإمام لابـد أن يكـون قـدوة للنـاس في هذا الباب، فيحسِن القيام والاطمئنان فيه، ويركع بخشوع، ويسـجد بخضوع، يتم كـل ركن حقـه، لا ينقـر الصـلاة نقـر الغـراب، فتـذهب سكينتها، ويـذهب رونقهـا، وينتهي بريقهـا، فلا تـأمر بمعـروف، ولا تنهى عن منكر.

فإلى كل إمام: الخشوع.. الخشوع!

---

1 رواه البخاري (371).

2 رواه أحمد (11845)، والنسائي (3878)، صححه الألباني في صحيح الجامع (12/382).

3 رواه أبو داود (4334)، صححه الألباني في مشكاة المصابيح (1/ 278).

4 عون المعبود شرح سنن أبي داود (3/ 225).

5 رواه البخاري برقم (633).

6 إحياء علوم الدين (4/183).

7 سورة التكوير (1).

8 سورة التكوير (10).

9 إحياء علوم الدين (4/183).

10 إحياء علوم الدين (1/151).

11 نفس المصدر.

12 رواه البخاري (605).

13 رواه أحمد (22400)، ابن ماجه (4161)، وغيرهم، صححه الألباني، في صحيح الجامع (

(742.
14 (849) مسند الفردوس قال الألباني: حسن صحيح الجامع.